مقدمة في مناهج المحدثين

لما كانت هذه المادة سابقة لما سيدرسه الطلاب في السنة المقبلة ـــ بإذن الله تعالى ـــ في مادة (التخريج ودراسة الأسانيد) ، رأيت من المناسب أن نتناول بالحديث خلال هذا العام موضوعاً مهماً ، ألا وهو :مناهج المحدثين: وهي نبذٌ يسيره نتدارس فيها مناهج بعض المحدثين في كتبهم.

بيان المراد بمناهج العلماء:

أي أصولهم في نقدهم الرواة ومروياتهم ، واصطلاحاتهم في فنهم ، وشروطهم في تصنيف كتبهم ، ومواردهم فيها ، وكل ما يتعلق بهذه المسائل تعلقاً بيناً.

ثمرة معرفة مناهج العلماء في كتبهم:

إن المقصود من دراسة مناهج المحدثين عموما معرفة الطرق التي يسلكونها في مصنفاتهم ومروياتهم ، ومعرفة عوائدهم و مصطلحاتهم ، ومدى موافقتهم لغيرهم ، والعلاقة بين كتبهم وغيرها من الكتب إن وجدت ، و ما يتصل بذلك التصنيف حسب نوعيته ، أو الأمر المطلوب دراسته في هذا الكتاب سواء أكان ذلك من حيث الدراسات الإسنادية أم من حيث الدراسات المتنية إلى غير ذلك.

و ليعلم إن العناية بمناهج المحدثين في كتبهم قديمة ، وإن لم تشتهر بهذا الاسم:

و نجد ذلك في عدد من الكتب المؤلفة من المصنفين أنفسهم ، كما في مقدمة الإمام مسلم لصحيحه ، و " رسالة أبي داود إلى أهل مكة " .و كذا في الكتب التي تبحث عن شروط الأئمة في كتبهم مثل " شروط الأئمة الستة " لابن طاهر القيسراني ، و " شروط الأئمة الخمسة " للحازمي . و كذلك ما ينقل عنهم أو عن مناهجهم في بطون كتب التراجم وكتب أصول الحديث.و كثيراً ما نجد الكلام على مناهجهم في مقدمات كتب الشروح كما في " هدي الساري في مقدمة فتح الباري " للحافظ ابن حجر العسقلاني ، و مقدمة الإمام النووي لشرحه لصحيح مسلم ،ومقدمة تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي للمباركفوري ، وفي ثنايا كتب الشروح عموماً.

وتعنى بذلك أيضا الكتب المؤلفة في الدفاع عن بعض كتب السنة مثل " صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط " للحافظ ابن الصلاح .كما أن الكتب المتعلقة بمجالس الختم لبعض كتب السنة النبوية ألصق ما تكون بمعرفة مناهج المحدثين في كتبهم ، كما في " بذل المجهود في ختم سنن أبي داود " و " بغيه الراغب المتمني في ختم سنن النسائي رواية ابن السني " كلاهما للحافظ السخاوي.

و نجد ذلك أيضا مسطوراً في بعض التصنيفات المتأخرة كما في " الحطة في ذكر الصحاح الستة " لصديق حسن خان ، و " بستان المحدثين " للمحدث عبدالعزيز الدهلوي.

ولقد نشط الباحثون في العقود الماضية وفي وقتنا من أكاديميين و غيرهم في الكتابة عن مناهج الأئمة المحدثين من جوانب عدة ، و ألفت كتب و رسائل كثيرة في ذلك ، و هي مبنية على الاستقراء و التتبع للكتاب المراد دراسة منهج مصنفه فيه إضافة إلى ما سبق .أفاده الدكتور عاصم القريوتي.

بعض الكتب المؤلفة في بيان مناهج المحدثين:

1- الكشاف المبين عن مناهج المحدثين للدكتور ، أحمد يوسف أبو حلبية ، دار البشير

2- مناهج المحدثين للشيخ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد

3- مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر للشيخ علي عبد الباسط مزيد- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-4سلسلة مناهج كتب الصحاح والسنن للشيح الدكتور حاتم الشريف

-5مناهج المحدثين للدكتور ياسر الشمالي

-6مناهج المحدثين للدكتور أمين القضاة والدكتور عامر حسن صبري طبع جامعة الإمارات

-7الأصول الستة: روايتها ونسخها لمحمد إسحاق محمد إبراهيم خان – رسالة ماجستير - جامعة الملك سعود.

-8الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدّثين.للأستاذ الدكتور الشيخ /أحمد محرّم الشيخ ناجي ـــ مطبعة الأمانة ـــ مصر.

العلوم التي يحتاجها المشتغل بدراسة علم الحديث:

على طالب علم الحديث الذي يروم أن يكون من أهله أن يتمكن من أربعة أبواب منه ؛ وذلك هو القدر الأدنى الذي لا بد منه:

الأول: مصطلحات المحدثين.

والثاني: قواعدهم.

والثالث: أنواع كتب الحديث ومحتوياتها ومراتبها وطرائقها وتواريخها وتراجم أصحابها.

والرابع: مناهج المحدثين ومسالكهم وشرائطهم وخصائصهم ولا سيما النقاد منهم.

أما المصطلحات فإنما تطلب معرفة معانيها لأنها دخلت في لغة القوم واستعملت في مؤلفاتهم، فكما لا يمكن لأحد من الناس فهم مقاصد المحدثين بدون معرفة لغتهم الكبرى - أعني العربية - فكذلك يتعذر على العربي فهم كثير من مراداتهم ما لم يكن عالماً بلغتهم الصغرى أعني مصطلحاتهم. وأما القواعد فعليها ابتناء العلم إذ هي أصله وأساسه وميزانه ومقياسه.

وأما كتب الحديث فهي مادة هذا العلم ولا يكون الدارس داخلاً في جملة طلبة علم الحديث إلا بعد معرفة أهمها وأنفعها وأتقنها وأجمعها وأصوبها وكيفية تصنيفها وسبل الانتفاع بها ووسائل تيسير الرجوع إليها وأنواع العلائق بينها ومقادير تفاوتها في مراتبها وموضوعاتها وشرائطها ومعرفة مظان الخلل فيها والاستدراك عليها.

ويدخل في المكتبة الحديثية كل كتاب مقصوده علم الحديث صِرفاً، وكل كتاب الجانب الحديثي فيه أغلب من الجوانب الأخرى؛ وليس معنى هذا أنه لا يستقيم إدخال الكتب الأخرى التي يغلب عليها غير علم الحديث ولكن فيه من مسائل علم الحديث ما يحتاجه بعض أهل الحديث. هذا من جهة محتوى المكتبة الحديثية.